الجنرال غلام ازهاري ، في المهمة التي جيء بها من اجلها ، وفي ضوء كونها ورقة نظام حكم الشاه الاخيرة ، وبحسب ما قاله دبلوماسي غربي في طهران فان الجيش قد تمكن من خلق « سلام هش » ، ولكنه حتى الان « فشل في كسر حركة المعارضة » .

وهذه الحقيقة هي التي تثير القلق الشديد في الدوائر الغربية وخاصة في واشنطن . ففشل الحكومة العسكرية في كسر حركة المعارضة يعني استمرار الانتفاضات الجماهيرية وتصاعدها مع ما يعنيه ذلك من مضاعفات اقتصادية وسياسية . فعندما شكل الشاه الحكومة العسكرية كان صانعو السياسة الاميركيون يدركون بانه يفقد سيطرته على الوضع بوتيرة سريعة . وقالت مجلة « تايم » الاميركية الوثيقة الاطلاع ، بانهم في واشنطن اعطوا الشاه فرصة بالبقاء والاستمرار ، لا تزيد عن ٥٠ بالمائة ، وذلك فقط اذا ما تحرك بسرعة لمحاولة استعادة زمام سيطرته على الوضع . وقالت المجلة ان المسؤولين ، من الرئيس كارتر مرورا الى اصغر مساعد ، يرون بان احتمال سقوط الشاه هو خطوة نحو الفوضى الكاملة التي ستؤدي في النهاية ، الى ازدياد النفوذ السوفياتي على احد اهم الحلفاء الاستراتيجيين للولايات المتحدة . ولهذا فان ادارة كارتر رأت بانه لا خيار غير الحكم العسكري وغير دعمها الكامل للشاه ، ودعمها لسياسة الحكومة العسكرية للانقضاض وتحطيم المعارضة ضد الشاه .

ومع ذلك تؤكد مجلة « تايم » ان واشنطن لا تخدع نفسها كثيرا ، وانها تدرك بأن فوائد الحكم العسكري محدودة . وبحسب ما قاله احد الخبراء الاميركيين : فان « العسكر قد ابتاعوا الوقت للشاه ، ولكن هذا الوقت لا يتعدى الدقائق » بحسب التوقيت السياسي ... كما ان واشنطن تدرك بان القوات المسلحة الايرانية المدربة تدريبا جيدا والمنظمة تنظيما جيدا ايضا ، يمكن ان تكون قادرة على ادارة ايران ولكن فقط على مدى قصير . ويشكك المسؤولون الاميركيون ان تستطيع هذه القوات المسلحة ، في حال الاطاحة بالشاه ، على السيطرة على ايران لفترة طويلة ، وهم ينكهنون في كواليسهم ، انه في حال حصول هذا « المحذور » ، فان ايران ستشهد تدهورا منتظما للامن والنظام لفترة عدة سنوات وينتهي لصالح القوى اليسارية الجذرية .

الفشل على جبهة العمال

ان هذه الاراء والتوقعات التي نقلتها مجلة « تايم » من كواليس واشنطن تعكس مدى مخاوف ادارة كارتر من الوضع في ايران ، حيث تستمر الاشتباكات في العاصمة وفي مدن مختلفة ، بين الجماهير المناوئة للشاه وبين قوات الجيش القمعية ، وحيث تستمر الاضرابات العمالية التي تجري ليس فقط حول قضايا مطلبية ، بل حول قضايا سياسية ايضا . وتمس الوجود الاميركي في ايران .

ففي القطاع النفطي استخدمت حكومة الجنرال ازهاري سياسة العصا والجزرة لانهاء الاضراب الذي شل الصناعة النفطية . فمن جهة اغرت المضربين بزيادة في الاجور بلغت ٤٤،٥ بالمائة بالاضافة الى « اكراميات » وبعض المكاسب الاخرى . ولكنها من ناحية ثانية ، قامت باعتقال قادة الاحزاب ونشرت وحدات من « الجيش الخاص » في حقول النفط في محاولة لمنع عودة الاضراب الشامل . ولكنها فشلت في الانهاء الكلي للاضراب الذي راح يأخذ اشكالا اخرى : مثل العودة الى مراكز العمل ، والعمل ببطء متعمد او الامتناع الكلي عن العمل ، الامر الذي لم يعد نسبة الانتاج النفطي الى معدلاته السابقة . وكانت محاولة اغتيال الاميركي جورج لينك الذي يدير الكونسورتيوم النفطي الغربي في ايران ، برغم الحراسة المشددة التي يتمتع بها ، مؤشرا الى احتمال تعرض الاميركيين وغيرهم من الفنيين الغربيين العاملين في القطاع النفطي في ايران ، الى اعمال عنف من جانب الجماهير المنتفضة المناوئة لحكم الشاه والمناهضة للامبريالية الاميركية . بل ان الالفين فني اجنبي ، العاملون في القطاع النفطي ، في عبادان وفي خورامشهار لم يصيبهم الذعر من محاولة اغتيال لينك فحسب ، بل من منشورات تلصق على سياراتهم وتخيرهم بين التعرض للموت او مغادرة البلاد قبل حلول شهر كانون اول القادم ... وهو يوم بداية شهر محرم الذي يتوقع ان تتصاعد فيه الانتفاضة الجماهيرية ضد نظام حكم الشاه ، وضد الوجود الاجنبي الغربي في ايران . وقد شكى موظفون اميركيون في اصفهان من المضايقات المتزايدة التي يتعرضون لها من جانب العمال الايرانيين . وقد اضطرت السلطة توفير حراسة عسكرية مشددة لاخراج مائتي موظف اميركي في دائرة البريد والبرق المركزية في طهران (؟!) في اثر تهديد العمال الايرانيين فيها لهم .

ولكن سياسة العصا والجزرة التي استخدمتها الحكومة العسكرية مع عمال القطاع النفطي لم تنفع في القطاعات الاقتصادية الاخرى ، فهي لم تتمكن من انهاء الاضرابات في قطاع الكهرباء حيث يؤدي اضراب العمال فيها الى انقطاع التيار الكهربائي عن العاصمة . ولم تتمكن من انهاء الاضرابات العمالية في الصناعات الرئيسية ابتداء من صناعة الاسمنت والى صناعة الفولاذ ، هذه الاضرابات التي اذا ما استمرت ، يمكن ان تثير ازمة اقتصادية رئيسية ، حتى ولو عاد انتاج النفط الى معدلاته السابقة . والجدير بالانتباه هنا الى ان عمال هذه الصناعات الرئيسية لا يرفعون شعارات مطلبية بل سياسية . فهم يربطون عودتهم عن الاضراب بمطالب سياسية تتراوح من مطلب طرد العمال الاجانب ، والى انهاء الاحكام العرفية ، واطلاق سراح المعتقلين السياسيين وملاحقة المسؤولين المتهمين بالفساد . وكان القاضي جمال الدين اكهفي الذي اختاره الجنرال ازهاري للتحقيق في مالية العائلة المالكة ، قد رفض المهمة . وعلق احد القضاة على هذا التكليف ـ المناورة وعلى مدى جدية الحكومة بمكافحة الفساد بالقول : ان فرص ان تقوم الحكومة باتخاذ اي اجراء ضد الفساد الملكي فرص اقل من ان تذكر ... وان الذين لديهم ما يخشونه لم يغامروا بالبقاء ، بل انهم قد غادروا البلاد ليكونوا على مقربة من حساباتهم في المصارف السويسرية ، ولن يعودوا الى ايران قبل ان يتأكدوا في اي اتجاه تهب الرياح فيها ... (!) . والجدير بالذكر ان كل العائلة المالكة ، باستثناء الشاه والامبراطورة واولادهم الثلاثة ، قد غادروا ايران خلال الشهر الماضي ...

... ولا سبيل سوى مواجهة العنف الرجعي بالعنف الثوري

التدخل الاميركي

ان الولايات المتحدة في ضوء فشل الحكومة العسكرية في مهمتها ، تكرر وتؤكد تأييدها الكامل لنظام الشاه وللسياسات القمعية التي يتبعها في محاولة سحق الانتفاضة المناوئة له والمطالبة باسقاطه . ولكن هذا لا يعني ان واشنطن كانت مكتفية طوال هذا الوقت بالدعم الشفهي لنظام حكم الشاهنشاه ، بل ان في ايران وجودا اميركيا يلعب دورا ناشطا في دعم هذا النظام ، وقد المح اليه اخيرا ، روبرت بيرد ، مبعوث الرئيس كارتر ، عندما قال : « ان الولايات المتحدة تعتزم مواصلة علاقاتها الثنائية ، السياسية والاقتصادية والامنية القوية مع ايران » .

ان عدد الاميركيين الموجودين في ايران يتعدى الخمسين الف اميركي ، ولكن هناك ايضا مواقع عسكرية للجيش الاميركي موزعة في انحاء البلاد ، فهناك ثلاثة مراكز استخبارية لاسلكية موجهة ضد الاتحاد السوفياتي ، تعمل الى جانب مركز ضخم للاتصال الاستراتيجي بالقوات المسلحة للولايات المتحدة . وقد صرح مؤخرا الجنرال د. جونز رئيس لجنة رؤساء اركان حرب القوات المسلحة ، بانه توجد لدى الولايات المتحدة امكانات واسعة للتدخل في الشؤون الايرانية ...

ومن ضمن النشاط الاميركي للتدخل في مسار التطورات في الساحة الايرانية ، افتتحت واشنطن مؤخرا ، مركز استعلامات في طهران بحجة تمكين الرعايا الاميركيين الاتصال به هاتفيا في اي وقت . ولكن يتبين الهدف الحقيقي من وراء فتح هذا المركز عندما نعرف بانه قد تم منذ وقت قريب ، نقل حوالي ٤٠٠ من العاملين في وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية ، الى ايران ، من اجل مساعدة الحكم العسكري في محاولات القضاء على الانتفاضة وان هذا العدد من عملاء السي. اي. اي. يحتاج الى مركز اتصال مموه بعناوين مضللة . والجدير بالذكر ان في وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية ما يسمى بميثاق المخابرات « م ـ ٣٠ ـ ٢١ » ، والذي ينص على تنفيذ سلسلة من العمليات الخاصة في بلد صديق « في حالة ظهور خطر فيه يهدد بحدوث تغيير جذري في الوضع السياسي » ... والهدف من هذه الخطط اما « خلخلة » او « اقرار » النظام القائم في البلد ، تبعا لاتجاه النظام السياسي الاجتماعي فيه ، وذلك من اجل الضمان والمحافظة بأية وسيلة ، على السلطة في ايدي موالية للولايات المتحدة . وينص الميثاق ايضا ، على التدخل السري النشط من جانب الجيش الاميركي ، في شؤون المخابرات والشرطة والقوات المسلحة والهيئات المدنية والادارية لدى البلد المعني . واذا ما علمنا انه توجد قوات اميركية في ايران ، بالاضافة الى مجموعة كبيرة من عملاء السي. اي. اي. فان نشاط هذه القوة مجتمعة لدعم نظام الشاه هو المقصود بالتصريح الاميركي عن اعتزام الولايات المتحدة مواصلة علاقاتها الثنائية « الامنية القوية » مع الشاه ... وان احدا لا يستطيع الزعم بان مثل هذه « القوة الامنية » الاميركية المتواجدة في ايران كانت تقف طوال هذه الشهور العاصفة في ايران ، موقف المتفرج ، بينما تهتز ركائز احد اهم حلفاءها الاستراتيجيين امام رياح انتفاضة الجماهير الشعبية الايرانية .

الجماهير تطالب و"فدائيي الشعب" تنفذ

من نمن عملياتها الدفاعية عن حركة الجماهير ، قامت منظمة فدائيي الشعب الايراني بتنفيذ حكم الاعدام الثوري بحق المجرم ، العقيد « زماني بور » رئيس احد مراكز الشرطة القمعية في مدينة مشهد . وقد وزعت المنظمة بيانا توضيحيا بهذا الشأن في الشهر الماضي ، حيث روت الممارسة الاجرامية التي ارتكبها هذا العميل بحق المناضلين الايرانيين خلال الانتفاضة العارمة . فقد عمد الى القاء القبض على ثلاثة من المتظاهرين ، وقام بتعذيبهم امام الجماهير المنتفضة بغية ارهابها ، ثم ادخلهم الى شاحنه حيث تم تجريدهم من ملابسهم وامر ازلامه بادخال العصي في مؤخراتهم ... وقد استشهد اثنان منهم نتيجة هذه العملية الاجرامية المروعة ، وقضى الثالث مدة طويلة في المستشفى .

وقد اثارت هذه الجريمة البشعة ردة فعل عنيفة في اوساط الجماهير بحيث اصبحت محاكمة هذا المجرم العميل احد مطالب الانتفاضة في عدد من المدن الايرانية التي وصلتها انباء العملية . وبذلك اضطر النظام من خلال البرلمان ، التظاهر بالاهتمام بالقضية واضطرت السلطة الى الوعد بفصله من منصبه . ولكن تبين خداع السلطة بعد اسبوع عندما ظهر انه تم تعيين هذا المجرم في منصب اعلى في قيادة الشرطة في احدى المناطق الحساسة ، في مشهد ، وذلك في الوقت الذي كانت لا تزال الجماهير تطالب بالاقتصاص منه . وكان على منظمة فدائيي الشعب تلبية مطلب الجماهير ، كونها الذراع المسلح لجماهير الشعب الايراني ، وتنفيذ حكم الشعب باحد مجرمي جلاد الشعب . ودعا البيان الذي اصدرته المنظمة ، جماهير الشعب الكادحة الى الالتفاف حول فدائيي الشعب واسناد كافة القوى المؤمنة بالكفاح المسلح ، كونه السبيل الوحيد الارقى للنضال ضد الحكم الديكتاتوري المرتبط بالامبريالية العالمية ، المسؤول عن المظالم والبؤس الذي تعيشه جماهير ايران الكادحة المضطهدة والمستغلة . وتضمن البيان سردا لعمليات دفاعية اخرى نفذها فدائيو الشعب الايراني منذ الانتفاضة العارمة الاخيرة . ومنها عملية هجوم على مركز شرطة الحرس في مدينة طهران . وعملية تدمير مركز الشرطة ومركز حزب « راستاخيز » في مدينة قم ، وعملية هجومية على دورية للقوات القمعية في مدينة مشهد ، وكمين هجومي على دورية للقوات القمعية ، ومهاجمة مركز الشرطة للمنطقة الثالثة ، في مدينة تبريز ...

وقد اختتم البيان بتوجيه انذار من فدائيي الشعب ضد العملاء السفاكين قتلة الشعب المناضل ومعاهدة الجماهير على مواصلة الاقتصاص من هؤلاء ، والاستمرار في تصعيد نشاطاتها الثورية على طريق جعل الكفاح المسلح جماهيريا .